الغنوسية المسيحية

بحسب فكر كليمندس الأسكندرى

[نسخة أولية]

مارك فيليبس

© divine-philosophy.blogspot.com © Apr -2011

Cover Painting

Two Old Men Disputing

By

Rembrandt Harmenszoon van Rijn (1606-1669)

عندما شرعت فى إعداد مقالات فى فكر آباء الكنيسة القديسين عن علاقة الإيمان بالمعرفة ،وجدت نفسى أمام كم هائل و متسع من الأفكار و الكتابات التى تُرصِّع المكتبة المسيحية عن هذا الموضوع ، لذلك آثرت التركيز على فكر العلاَّمة و القديس و الفيلسوف الأسكندرى ، كليمندس ،(150 . 210م) لأنه هو الوحيد من بين آباء الكنيسة الذى وضع منهجاً كاملاً راصناً عن المعرفة المسيحية و علاقتها بالإيمان و السلوك ، صحيح أن آباءاً و كتاباً آخرين قد استفاضوا فى حديثهم عن هذا الأمر من أمثال أثيناغوراس الفيلسوف و يوستينوس الشهيد ، لكن كليمندس امتد به ليجعله منهج و طريقة حياة يعيشها الإنسان المسيحى ، و تصل إلى الكمال و الخلود .

فى هذا المقال حاولت أن أتعرف على مفهوم منهج الغنوسية المسيحية ، و منطلقاته و الأسس التى يقوم عليها .

الغنوسية المسيحية !

الأساسات ، الخلفيات ، و الظرف اللاهوتى .

لماذا الغنوسية المسيحية ؟

تعتبر كتابات القديس كليمندس الأسكندرى بمثابة افتتاح عصر جديد فى اللاهوت و الفكر المسيحى ، و يمكن أن نعتبره مؤسس اللاهوت التأملى ، فلقد كان رائداً شجاعاً لمدرسة الأسكندرية اللاهوتية التى أرادت أن تحيى الإيمان و تدافع عن العقيدة الرسولية من الهرطقات الغنوسية التى كانت تموج فى عالم ذاك العصر ، هذا فضلاً عن مهمتها الأصيلة و هى تعليم الموعوظين ، و ذلك باستعمال الفلسفة كأداة . مجرد أداة . لمخاطبة هذا العالم الغارق فى تأملاته العقلية ، ذلك لأن الخطر ، هو فى مزج المسيحية بعناصر الفلسفة اليونانية ، كما فعل الغنوسيين ، و كان هذه هو رأى الكثير من معاصريه أيضاً مع بعض الإختلاف المُميّز.

الوحيد من بين الكُتاب الكنسيين الذى ذكر تعبير "الغنوسية المسيحية " هو كليمندس الأسكندرى ، و هذه المعرفة الحقيقية الإلهية مُقدمة فى مواجهة الخطر الغنوسى الهرطوقى المتزايد الإنتشار فى الأوساط المسيحية فى القرنين الثانى و الثالث.

فبينما الغنوسيين الهراطقة كانوا يعلمون بأن الإيمان و المعرفة لا يمكن أن يتصالحا لأنهما متضادان مع بعضهما ، سعى كليمندس أن يثبت أنهما رفيقان الواحد مع الآخر ، و أن انسجام . هارمونى . الإيمان و المعرفة ينتجان "المسيحى الكامل" و " الغنوسيس الحقيقية الكاملة " ، هذه المعرفة المتجسد فى الفلسفة اليونانية تحديداً و التى يعقد كليمندس مقارنات بينها و بين الإيمان المسيحى.

الغنوسية تشكل حركة فلسفية دينية مُركبَّة من العديد من العناصر اليونانية و اليهودية و الشرقية ، و مبدأها ليس هو العلم بواسطة المعانى المجردة و الاستدلال المنطقى كالفلسفة ، و لكن معرفة الحس التجريبى الناتج عن اتحاد العارف بالمعروف فالغنوسية هى عقيدة الخلاص بالمعرفة السرية ، أو غنوسية سرية ، و الغنوسيون يدعون امتلاكهم لمعرفة استثنائية فجائية تمكنهم من فهم طرق الله و الكون و أنفسهم [1] و أنهم وحدهم الذين يعرفون أسرار الروح التى لا يُعبَّر عنها. [2]

و قد كانت الأسكندرية المركز الأكثر أهمية لهذه الهرطقات بحكم أنها كانت الوريث للتقليدات اليهودية و الفكر الكلاسيكى و التصوف القديم للديانات الشرقية ، و استفادت الغنوسية من أهمية الأسكندرية كمركز لتبادل الأفكار و العقائد و كنقطة إلتقاء بين اليهود و اليونان،و كانت تستخدم المنهج العقلى المجرد بعيداً عن تقليد الكنيسة و وضعت حلولاً صوفية باطنية للقضايا الفلسفية التى كانت تثيرها ، فجاء لاهوتها . الكاذب . مشوهاً مُضللاً مُهلكاً !!.

---

1 . نظرة إلى علم الباترولوجى فى القرون الستة الأولى / الأب تادرس يعقوب ملطى صـ 49 ، [1] 50

2 . راجع الدراسة اللاهوتية المتمَّعة عن الغنوسية التى قام بها الأستاذ / مينا فؤاد [2]

و بالطبع كانت تلغى أى دور للإيمان و الروحيات فى الحياة الإنسانية حتى أن القديس إيرنيؤس يقول عنهم :

[أنهم كانوا يمتلكون صوراً .. لبعض الفلاسفة المشهورين فى العالم ، و كانوا يكرمون هذه الصور بطرق مختلفة كما يفعل الأمم !!] [3]

و استطاعة هذه الغنوسية الكاذبة أن تقدم نظاماً عقائدياً بطريق مضمون للخلاص يشبة إلى حد كبير النظام الوثنى ، و فى مواجهة هذا ، قدَّم كليمندس نظاماً غنوسياً مسيحياً يقود الإنسان إلى الخلاص أرثوذكسياً حسب تعليم الرسل و الكنيسة المُقدسة.

ما بين كليمندس و تيار الرافضين لقبول للفلسفة اليونانية :

اختلفت اتجاهات الكتاب المسيحيين نحو الفلسفة القديمة تبعاً لنظرتهم إليها أو تبعاً للزاوية التى ينظرون منها ، فهى تارة عدو و خصم للمسيحية ، و تارة أخرى شىء نافع مثلها مثل دار الأسلحة أو مخزن استيداع ، و تارة أخرى تجهيز و اعداد للمسيحية من قبل العناية الإلهية .

أكثر الآباء تأثيراً على تكوين الفكر الرافض لإمتزاج الفلسفة بالإيمان المسيحى هو القديس إيرناؤس أسقف ليون (140 . 202 م) ، إذا قارننا كليمندس بالقديس إيرناؤس الذى كان معاصراً له نجد أنه يمثل مُعلماً كنسياً من نوع مختلف تماماً ، فكل منهما يقدم نموذجاً مغايراً عن الآخر ، فإيرناؤس كان رجل التقليد المُقدس الذى استمد تعاليمه من كرازة الرسل و كان ينظر إلى أى تأثير من الثقافة و الفلسفة المعاصرة على أنه خطر على الإيمان المسيحى .

لكن امتياز اكليمندس أنه . بالرغم من تمسكه بتعاليم الأساقفة و تقليديته الشديدة . إلا أنه لم يقف موقف السلبية تجاه الفلسفة فى عصره بل أشهر فى وجهها فلسفة حقيقية مسيحية ، فيها وضع كنوز الحق الموجودة فى مختلف المناهج الفلسفية لتخدم الإيمان . [4]

كليمندس كان مؤسساً لمدرسة تهدف إلى الدفاع عن الإيمان و التعمق فيه باستخدام الفلسفة . و رغم أنه كان يرى مثل إيريناؤس الخطر الذى تمثله الفلسفة اليونانية على المسيحية و كافح معه ضد الغنوسية الزائفة الهرطوقية ، إلا أن كليمندس لم يكتف بالموقف السلبى ضد الغنوسية الزائفة بل واجهها بتقديم غنوسية مسيحية تستطيع أن تخضع كل ما هو حق فى كل نظم الفلسفة لتجعله فى خدمة الإيمان ، فإنه يرى أن بداية الفلسفة و أساسها هو الإيمان و الفلسفة هامة جداً لأى مسيحى يرغب فى أن ينفذ إلى محتوى إيمانه بواسطة العقل ، كما أن الفلسفة تبرهن أن هجمات الأعداء ضد المسيحية هى بلا أساس.و يعبَّر كليمندس عن التناسب و الإرتباط بين الإيمان و المعرفة و فى بعض الأحيان يمضى فى هذا الإتجاة حتى ينسب إلى الفلسفة اليونانية دوراً فوق الطبيعة ، إلا أنه يعتبر الإيمان أكثر أهمية من المعرفة إذ يقول :

[الإيمان أسمى من المعرفة ، و هو المعيار التى تُقاس به المعرفة]

ستروماتا 2 :4: 15

3 . الأيقونات / حياة الصلاة الأرثوذكسية . للأب متى المسكين.[3]

4 . راجع فكر القديس كليمندس فى كتاب " دراسات فى آباء الكنيسة" لأحد رهبان برية القديس مقاريوس .[4]

كان كليمندس واسع الإطلاع ، يجمع بين الفلسفة و الفن و اللاهوت و الأدب و أنه عرف الأسفار المقدسة معرفة جيدة فقد استشهد بالعهد القديم أكثر من 1500 مرة و بالعهد الجديد اكثر من 200 مرة و استشهد من الأدب اليونانى شعراً و نثراً أكثر من 360 مرة . و علم كليمنضس أنه لا مفر من مجابهة الفلسفة اليونانية و الأدب اليونانى، فإنبرى ينظم و ينسق العقيدة المسيحية تنسيقاً و تنظيماً يجارى به أفضل ما أنتجه الفكر الوثنى ، فقال أنه لا يوجد أى تناقض بين الفلسفة الحقيقية و الإيمان ، أو بين الإنجيل و الأدب ، فالعلوم كلها تخدم علم اللاهوت ، و المسيحية هى تاج جميع الفلسفات و مجدها.

حتى أن عنوان كتابه " المتنوعات" كما ذكر أوسابيوس القيصرى :

"متنوعات الذكريات الغنوسية ، تبعاً للفلسفة الحقيقية " لتيطس فلافيوس اكليمندس.[5]

و من تيار الرافضين أيضاً:

+ العلَّامة هيبوليتوس الرومانى (160 . 235 م): :

الذى قد هاجم "ثيؤدوتس" و " أرتامون" الهرطوقيين لأنهما هجرا الأسفار الإلهية المقدسة و وهبا نفسيهما لدراسة إقليدس و أرسطو ، و قد اتخذ نفس منهج القديس ايريناؤس.

+ العلَّامة ترتليانوس (155 . 220 م) :

يرفض إرتباط الفلسفة بالمسيحية و يقول: ماذا تعمل أثينا مع أورشاليم ؟ أيوجد اتفاق بين الكنيسة و الأكاديمية ؟ أيوجد انسجام بين الهراطقة و المسيحيين ؟ لنبتعد عن كل محاولة لعمل مزيج بين المسيحية و الرواقية و الأفلاطونية ، و بعد أن إمتلكما المسيح يسوع ، لا نريد فيما بعد مناقشات هدفها حب الاستطلاع و لا نحيد عن الإنجيل و لا نريد أن نضيف إلى إيماننا معتقدات أخرى]

[أيوجد إتفاق بين المسيحى و الفيلسوف ؟ بين تلميذ اليونان و تلميذ السماء؟ بين الإنسان الذى يبحث عن الشهرة و بين الذى يريد أن يصل إلى الحياة؟ بين الذى يتكلم و بين الذى يعمل ؟ بين الذى يبنى و بين الذى يهدم؟ بين الذى يفسد الحق و بين الذى يُعلمه ؟] [6]

و ينظر إلى الفلسفة الوثنية على أنها غباوة هذا العالم و ربما أكثر من غباوة بَل أنه يُلقب سقراط بقلب مفسد الشباب !

+ تاتيانوس الأشورى (172 م) :

بالرغم من أنه تتلمذ على يد يوستينوس الشهيد إلا أن كل منهما يضع تقييماً مختلفاً للفلسفة و الثقافة غير المسيحية ،فبينما يحاول يوستينوس أن يعثر على عناصر للحقيقة فى كتابات بعض المفكرين اليونانيين ، فإن تاتيانوس يُعلم بالرفض الكامل لكل فلسفة يونانية ، يوستينوس فى دفاعه عن المسيحية أعطى احتراماً كبيراً للفلسفة غير المسيحية ، أما تانيانوس فيبدى

5. الدراسات الفلسفية . لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 224

6. ترتليانوس / نصحى عبد الشهيد / المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية .

7. الدراسات الفلسفية . لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 49

كراهية شديدة لكا ما ينتمى للحضارة اليونانية و الفن و العلم و اللغة الخاصة بها. [8]

+ القديس ثيوفيلوس الأنطاكى (180) :

على عكس كليمندس تماماً نجد القديس ثيوفيلوس الأنطاكى فى رسالته الثانية إلى أوتوليكوس يقارن بين تعاليم الأنبياء الذين نطقوا بإلهام الروح القدس و بين تفاهات الديانة الوثنية و الأقوال المتناقضة للشعراء اليونانيين أمثال هوميروس و هيزيود بخصوص الآلهة و أصل العالم. [9]

لقد كان خوف أصحاب هذا الرأى أن تتسرب الأفكار الفلسفية اليونانية القديمة إلى المسيحية . بالرغم من اشتمال دفاعاتهم على عناصر عقلية ، و أدلة منطقية فى تؤكد حقائق الإيمان المسيحى . و لكن شكراً لله الحى أن الإيمان القويم قد حُفظ ، و اللاهوت الأرثوذكسى قد انتصر فى النهاية على الفكر الوثنى ، عبر جهاد طويل و صراع مرير ، دفع ثمنه غالياً بعض اللاهوتيين الأوائل أمثال أوريجانوس ، الذين زُلُّوا و هم يصارعون الفكر الفلسفة فى عرينه و عقر داره . لكن اليقظة الإلهية حفظت الإيمان و العالم الوثنى للحق بآن واحد ، و لا شك أن اتجاه اكليمندس لا اتجاه هؤلاء الرافضين هو الذى فاز فى النهاية و من ذلك ما نشهده عند أغسطينوس الذى انتفع كثيراً بالافكار الأفلاطونية الجديدة فى نظرته للكون .

. . .

كان أول من حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية و العهد القديم هو فيلو اليهودى ، و ورث المدافعين المسيحيين . خاصة ذوى الخلفية الفلسفية . قبل القديس كليمندس هذا المنهج من فيلون ، و لم يخجلوا من استخدام أدوات اللغة و التعبير الأدبى اليونانى فى عصرهم من فلسفة و منطق و منهج فكرى ، بالرغم من الهجوم الذى لاقوه من بعض الأوساط المسيحية من جرَّاء ذلك، و يمكن اعتبار هؤلاء الفلاسفة المسيحين المدافعين بمثابة واضعى اللبنات الأولى فى البناء الفكرى الذى أرساه كليمندس عن الغنوسية المسيحية ، فلقد استطاع هؤلاء المدافعون بأفكارهم أن يمهدوا لقبول دخول الأفكار الفلسفية للدفاع عن الإيمان المسيحى و شرحه ، و نذكر من بينهم تحديداً :

الفيلسوف فلافيوس يوستينوس و "بذرة " اللوغوس spermatikos logos :

يعتبر يوستينوس(165 م) أول كاتب كنسى يحاول أن يبنى جسوراً بين المسيحية و الفلسفة اليونانية ، و قد تنقل بين الرواقية و المشَّائية و الفيثاغورية و الأفلاطونية قبل تحوله إلى المسيحية ، فهو مُدافع ذو خلفية فلسفية ، حتى أنه فى كتاباته يصعب التفرقة بين اللاهوت و الفلسفة بشكل دقيق و قاطع [10] ، هو يقول أن هناك حكمة واحدة أو "فلسفة" واحدة و هى التى أعلنت بالمسيح و فى المسيح ، و لم تكن أفضل عناصرها _ فى الفلسفة اليونانية و بالأخص الأفلاطونية _ إلا اعداداً و تجهيزاً لها ، و إن كان الفلاسفة قد تنبأوا بالحق ، فإنهم فعلوا هذا

---

8 . تاتيانوس الأشورى . د / نصحى عبد الشهيد / المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية .[8]

9. ثيوفيلوس الأنطاكى . / نصحى عبد الشهيد / المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية .[9]

10 . نظرة إلى علم الباترولوجى فى القرون الستة الأولى / الأب تادرس يعقوب ملطى صـ 26[10]

بقوة اللوغوس الذى هو المسيح نفسه متجسداً ، و قد كان لنظرته هذه أكبر تاثير على الكتاب المتأخرين و خاصة كليمندس.

من أهم التعاليم التى وضعها يوستينوس هو تعاليمه عن "بذرة اللوغوس" و التى أثرت و بشدة على فكر كليمندس فيما بعد ، فالكلمة اللوغوس عنده يشكل همزة الوصل بين الفلسفة اليونانية و المسيحية،و بالرغم من أنه ظهر بملئه فقط فى المسيح ، فإن "بذرة" من اللوغوس قد انتشرت وسط كل البشر من قبل مجىء المسيح [11]؛ لأن كل إنسان يملك فى عقله "بذرة" sperma هذه وُجدت فى الفلسفة اليونانية الوثنية و تربت و نمت فيها و لذلك فإن اللوغوس هو الذى أرشد فلاسفتهم و معلميهم ، لذلك فليس فقط أنبياء العهد القديم بل حتى الفلاسفة الأمميين كانوا فيهم بذرة نابتة من اللوغوس فى نفوسهم مثل هيراكليدوس ، أفلاطون ، سقراط ، موزونيوس الرواقى الذين عاشوا بحسب توجهات اللوغوس الكلمة الإلهى ، و لذلك فهو يقول عنهم أنهم كانوا مسيحيين حقيقيين ، و إن الفلاسفة أمثال أفلاطون اقتبسوا من العهد القديم ، و لهذا السبب فإننا لا ندهش عندما نجد بعض الأفكار المسيحية فى الفلسفة الأفلاطونية .

[عندما حاول سقراط . بقوة اللوغوس . أن يهدى الناس من الباطل إلى الحق (و كأنه آله فى يده) حكم عليه الأشرار بالموت و كأنه ملحد ، هكذا المسيحيون أيضاً و هم يتبعون اللوغوس نفسه و يطيعونه و يجحدون الآلهة الباطلة يرميهم الناس بالإلحاد ، و كما خدم سقراط الحق كان عمله هذا تجهيزاً و إعداداً لعمل المسيح] [12]

و أيضاً يُصرّح فى حواره مع تريفو اليهودى أن الفلسفة من أثمن الهبات الإلهية التى رسم الله بها أن يقود الإنسان إليه ، و لو أن أكثر الناس لم يُميزوا طبيعتها الحقيقية و وحدتها كما تبين المذاهب الفلسفية الكثيرة المتعارضة فيما بينها .

يقول القديس يوستينوس عن الكلمة فى دفاعة الأول (1 :46) :

[لقد تعلمنا أن المسيح هو بكر الخليقة و قد أعلنا أنه هو الكلمة الذى اشترك فيه كل جنس من أجناس البشر و أن كل من عاش عيشة تتفق و الكلمة كان مسيحياً و لو أنه عُرف بالوثنية و ذلك كما جرى بين اليونانيين أمثال سقراط و هيراقليطس و غيرهما] [13]

و هو يُقرر فى الخطاب إلى اليونانيين أن هناك آثار للمعرفة الحقة لله نجدها حتى عند الشعراء و الفلاسفة اليونانيين و لكن الجزء القليل من الصلاح الموجود عندهم مأخوذ من كتب اليهود .

و قد سر سروراً بالغاً ، و بشكل خاص ، فى مذهب الأفلاطونية فى الصور غير المادية حتى أنه بدأ يتطلع إلى رؤية الله ، و هى على ما يقول يوستينوس غاية الفلسفة عند أفلاطون .

و بالرغم من أنه يعتبر الأفلاطونية فيما يتصل بالعالم الروحانى غير المادى و فيما يتصل بالكائن فوق جوهر الوجود أو وراء الطبيعة و هو الله ، إلا أنه وصل إلى اقتناع بأنه لا يمكن التوصل إلى معرفة الله معرفة يقينية و مأمونة و مؤكدة ، أو بعبارة أخرى لا يمكن التوصل إلى الفلسفة الحقيقية إلا بتلقى

11. يوستينوس الفيلسوف و الشهيد . د / نصحى عبد الشهيد . المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية.[11]

12 . الدراسات الفلسفية . لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 52[12]

13 . القديس يوستينوس الشهيد ، د /نصحى عبد الشهيد / الكورسات المتخصصة فى المركز الأرثوذكسى للدراسات الأبائية[13]

الوحى الإلهى ، و هو يستخدم الكثير من المصطلحات الأفلاطونية فى دفاعه عن المسيحية .

أثيناغوراس الفيلسوف (177م) :

أثيناغوراس كان قبل تحوله إلى المسيحية فيلسوفاً ينتسب إلى الأفلاطونية ،و كان يدير الأكاديمية فى الأسكندرية على ما يقول فيلبس الصيدوى [14]،و كان من بين المُعلمين الذين تتلمذ عليهم كليمندس ، كان يتخير أفضل من المذاهب الفلسفية جميعها ، حتى قيل عنه أنه أول من اتبع مذهب التخير و التأليف بين المذاهب ، و هو يقتبس الكثير من الشعراء و الفلاسفة و نجد فى كتاباته استشهادات هذا عددها من الفلاسفة و الشعراء اليونان و خاصة أفلاطون .، و يدل اسلوبه على أنه خطيب .

إلا أنه يختلف عن يوستينوس فى عدة نقاط جوهرية :

+ أنه لا يجعل للفلسفة دور إلهى ، بل أنه يركز بالأكثر على كتب الوحى النبوى التى تحتوى على الحق الكامل.

+ لم يتهم اليونانيين بالأخذ عن العهد القديم كما فعل يوستينوس ، و من بعده كليمندس .

+ يُعلى من أهمية السلوك المسيحى العملى فى التأكيد على سمو المسيحية عن كل الأديان و الفلسفات الوثنية

[إن الإتجاه للتوحيد ممكن أن نجده عند بعض بعض الشعراء و الفلاسفة الوثنيين و لكن لم يحدث أن أحداً من الناس اتهمهم بالكفر رغم أنهم قدموا براهين ضعيفه على أفكارهم ، أما المسيحيين فقد عرفوا الله و حصلوا على وحى إلهى و تعليم أنبائهم عن هذه النقطة هؤلاء الأنبياء الذين نطقوا بإلهام من الروح القدس ، إضافة إلى ذلك فالمسيحيين عندهم براهين من العقل على إيمانهم ، إن الفكرة المسيحية عن الله هى أكمل و أنقى من أفكار كل الفلاسفة و هذه حقيقة يثبتها و يوضحها المسيحيون ليس بالأقوال فقط و لكن بالأفعال أيضاً ، مَن من الفلاسفة الوثنيين قد طهر نفسه لدرجة أنه يمكنه عندئذ أن يحب أعدائه بدلاً من أن يكرههم ، و بدلاً أن يلعنوا الذين يشتمونهم ، يباركونهم ، و أن يصلوا لاجل الذين يتآمرون على حياتهم ، و ستجد بيننا أشخاص غير متعلمين و صناع و نساء ، الذين رغم أنهم قد يكونوا عاجزين على أن يبيرهنوا على فائدة و صحة عقيدتنا بالكلام ، إلا أنهم يظهرون بأفعالهم الفائدة التى تنتج من امتلاكهم لحقيقة هذه العقيدة]

(الدفاع . فصل 11)

[شعراء و فلاسفة اليونان قد اجتهدوا فى هذا الأمر كما فى غيره بطريقة التخمين . مدفوعين كل واحد منهم كما من نفسه الخاصة . محاولاً لعله يستطيع أن يصل إلى الحق و يدركه ، و لكنهم لم يوجدوا اكفاء تماماً لكى يدركوه ، لأنهم اعتقدوا أنه من المناسب أن يتعلموا عن الله ليس بإلهام من الله بل كل واحد يتعلم من نفسه ، و لذلك وصل كل منهم إلى نتيجة خاصة به فيما يخص الله و المادة و الهيئة و العالم ، أما نحن فعندنا شهود عن الأمور التى ندركها و نؤمن بها و هم الأنبياء و هم اناس قد تكلموا عن الله و أمور الله منقادين بروح الله ... أنه يكون من غير المعقول بالنسبة لنا أن نكف عن الإيمان بالروح الذى من

14. الدراسات الفلسفية / لنيافة الانبا غريغريوس صـ 14

الله و الذى حرك أفواة الأنبياء مثل الآلات الموسيقية و نلتفت إلى مجرد آراء بشرية] [15]

(دفاع فصل 7)

و نعتقد أن التفاعل بين الفكرين اليوستنى ، الأثيناغورى ، بما بينها من مناطق مشتركة و اختلافات قد أوجد فى النهاية الفكر الكليمندى الذى سنتحدث عنه بأكثر تفصيل .

هكذا لعب الظرف اللاهوتى دوره الحاسم فى تشكيل فكر "الغنوسية المسيحية " ، فحاجة الكنيسة المسيحية المتزايدة لمجابهة الخطر الغنوسى الهرطوقى ، امتزجت مع أفكار المُدافعين الأوائل الذين كرَّموا الفلسفة و قدموها على أنها إعداداً لقبول الحق المسيحى ، أضف إلى ذلك الخلفية الفلسفية لكيمندس الإسكندرى ، كل ذلك جعله يخرج بثلاثيه الرائع : الوعظ ، المُربى ، الستروماتا stromata (المتنوعات = المتفرقات) الذى يظهر فيه منهجه بوضوح ، والذى يصفه كليمندس نفسه بأنه نسيج من التفاسير الرصينة بحسب الفلسفة المسيحية الحقيقية ، و يهدف إلى تقديم حقائق الإيمان المسيحى الموحى بها فى صورة علمية ،و يختمه بعرض الإختبارات المسيحية الفائقة كالبتولية و الكمال المسيحى و الاستشهاد و الغنوسية المسيحية الحقيقية.

. . .

فى البداية ، رسَّخ كليمندس قاعدتين لاهوتيتين . يعتبرهما كاتب هذه السطور . الأساس الذى بنى عليه كل فكره فيما بعد :

أولاً : كلمة الله اللوغوس .. أصل و بداءة كل معرفة

عندما نريد أن ندرس منهج كليمندس الإسكندرى عن الغنوسية المسيحية ، لابد أن ننطلق من نظرته الثيولوجية لـ "الكلمة اللوغوس " ، فالمُعلَّم الإسكندرى قد وضع نظاماً لاهوتياً كاملاً كان اللوغوس الإلهى هو البداية و النهاية فيه ، و هذه الفكرة تسيطر على كل تفكيره و تنضح على كل كتاباته ، بل تعتبر الأساس الثابت و حجر الزاوية الذى بنى عليه كل كلامه عن "المعرفة الحقيقية" و مقارناته بين المسيحية و الفلسفة اليونانية.

هكذا ، فهو يقف على نفس أرضية يوستينوس الشهيد من نحو اللوغوس و الفلسفة . التى سبق الحديث عنها . لكن كليمندس تقدم فى هذا الإتجاه أكثر منه ، فقد جعل من فكرة اللوغوس المبدأ الأعلى الذى يشرح العالم دينياً ، فالكلمة هو خالق الكون ، و هو الذى أعلن الله فى ناموس العهد القديم و أعلنه فى فلسفة اليونان ، و أخيراً فى ملىء الزمان أظهره الله بالتجسد ، فنحن نستطيع أن نعرف الله فقط من خلال الكلمة ، لأن الآب يفوق كل معرفة و لا يمكن أن يُسمَّى .

و الكلمة إذ هو العقل الإلهى ، لذلك فهو أساساً مُعلم العالم و مشرع الجنس البشرى ، و يقول عنه أنه مخلص جنس البشر و مؤسس الحياة الجديدة التى تبدأ بالإيمان و تتقدم إلى المعرفة و

---

15. أثيناغوراس ، الفيلسوف المسيحى بأثينا ، د/ نصحى عبد الشهيد / الكورسات المتخصصة فى على الباترولوجى فى المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية .[15]

التأمل و تقود بواسطة المحبة و أعمال الرحمة إلى الخلود و التأليه .

حتى أنه جعل الكنيسة هى [المدرسة التى يقوم فيها عريسها يسوع بالتعليم !]

paed 1,5

و بالطبع فهو لا ينظر إلى اللوغوس باعتباره مبدأ مجرد ، بل هو شخص حى ، تجسد فى الزمن و ظهر فى صورة المسيح يسوع و قاد الإنسان إلى معرفة الله الحقيقية ، هذا الفكر التقليدى الذى يتبعه كليمندس من جعة شخص يسوع سيقوده بعد ذلك إلى وضع السلوك و الفضيلة و الأخلاقيات المسيحية التى يعمل بها الإنسان واقعياً ، بل و النسك ، على قمة البناء الفكرى الذى للغنوسية المسيحية !!

ثانياً : كل علم و إبداع بشرى هو حكمة من الله

يعرض لنا القديس كليمندس الإسكندرى ، فى الفصل الرابع من كتاب المتفرقات ، فكره عن الحكمة ، و يُعدد الأدلة من الفلسفة اليونانية و من العهد القديم على أن كل علم و فن و أدب و معرفة تسمى "حكمة" ، وفهو هنا ينظر إلى الحكمة بمفهومها الواسع فلا يحصرها فقط فى "العلم الدينى" أو "اللاهوتى" أو فى "الإعلان الإلهى و الوحى" فقط ، بل أن هذه الحكمة الإلهية توجد أيضاً عند الصُنَّاع ، و الفلاسفة و المناطقة و الفنانيين ، و أصلها بالطبع هو الكلمة الإلهى الذى يضع حكمته فى قلوب من يكونون مؤهلين لذلك.

[هوميروس يسمى الصانع حكيماً ، و يكتب عن مارجيتس ، إذا صحت نسبة هذا المكتوب إليه هكذا : " الآلهة لم تخلقه حفاراً أو حراثاً .. و لا حكيماً بأى وجة آخر ، فقد أخفق فى كل فن " ، ثم قال هزيود عن الموسيقار لينوس أنه " كان ماهراً فى جميع دروب الحكمة" ، و لا يتردد فى أن يسمى الملاح (البحار) حكيماً ، هكذا يكتب قائلاً :" ليست له حكمة الملاحة " .

و يقول النبى دانيال " السر الذى طلبه الملك ، لا تقدر الحكماء و لا المجوس و لا السحرة و لا المنجمين على أن يبينوه للملك ، لكن يوجد إله فى السموات كاشف الأسرار" (دا 2 : 27 ، 28)

فهو هنا يدعو البابليين حكماء ، و الكتاب المقدس يسمى كل علم دنيوى و كل فن باسم واحد .. هو الحكمة (و هناك فنون و علوم أخرى زيادة على تلك يبدعها العقل البشرى)

و هذا الإبداع فى الفنون و ضروب المهارة هو من الله و هذا يتضح من العبارات التالية " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «اُنْظُرْ. قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ بْنَ أُورِي بْنَ حُورَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِاسْمِهِ، وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ، لاخْتِرَاعِ مُخْتَرَعَاتٍ لِيَعْمَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَنَقْشِ حِجَارَةٍ لِلتَّرْصِيعِ، وَنِجَارَةِ الْخَشَبِ، لِيَعْمَلَ فِي كُلِّ صَنْعَةٍ." (خر 31 : 1 _ 5)

ثم يضيف إلى ذلك السبب العام " وَفِي قَلْبِ كُلِّ حَكِيمِ الْقَلْبِ جَعَلْتُ حِكْمَةً، لِيَصْنَعُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ " (خر 31 : 6) أى أن الكل قادر على الحصول عليها بالجهد و العمل .

و أيضاً ورد صراحة باسم الرب :" وَتُكَلِّمُ جَمِيعَ حُكَمَاءِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ مَلأْتُهُمْ رُوحَ حِكْمَةٍ" (خر 28 : 3) أن حكماء القلب يتميزون بصفات طبيعية خاصة بهم ، و الذين يظهرون انفسهم مستحقين للحكمة ينالون من " الحكمة العظمى" (و يقصد هنا اللوغوس كلمة الله) نصيباً مضاعفاً من روح الحكمة و الذين يشتغلون فى الفنون المعروفة لهم فيما يتصل بالحواس مواهب ممتازة ،فالموسيقار موهبته فى السمع ، و صانع الفخار فى اللمس، المُغنى فى الصوت ، و صانع العطور فى الشم ، و ناقش حفار الرسوم على الأختام فى النظر ، كذلك المشتغلون بالتعلم يدربون حساسيتهم كما يفعل الشعراء الذين

تهتز نفوسهم بموازين الشعر ، كذلك السوفسطائيين يجيدون التعبير ، و المناطقة القياسات المنطقية ، و الفلاسفة تأمل ذواتهم ، لأن الحساسية تكشف و تخلق ، حيث أنها تحرك على الطلب ، و العمل يزيد الطلب نحو المعرفة ، لذلك فإن الرسول كان على حق عندما دعا حكمة الله "متنوعة " (أف 3 : 10) ، و أنها أظهرت قوتها " بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ " (عب 1:1) ، فى فن فى معرفة فى إيمان فى نبوة لمنفعتنا ، " لأن كل حكمة فهى من الرب ، و لا تزال معه للأبد" كما يقول الحكمة ليشوع بن سيراخ (سيراخ 1 :1)] [16]

إذاً .. وفقاً لفكر كليمندس فإن "المعرفة" هى مبدأ أزلى موجود بوجود اللوغوس الذى هو مصدرها ، و هى لا ترتبط بشعب معين ، اليهود الذين " لَهُمُ التَّبَنِّي وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ وَالاشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ" (رو 9 :4) وحدهم ، بل كانت لليونانيين أيضاً عن طريق الفلسفة ، و هى أيضاً لا تنحصر فى "علم دينى" بل تمتد لتشمل كل فروع المعرفة العقلية و التجريبية معاً .

تعليق و اندهاش !!

اذا جاز لى أن أعلق على هذا ، فأقول أنه ما أحوج مجتمعنا الآن لهذه الفكرة المسيحية فائقة الروعة التى ترى الصلاح و الخير ، بل و الإلهية فى كل إبداع و فكر بشرى ، هذا المجتمع الذى يريد أن يدير حياته "بالفتاوى" التى تحلل و تحرم أنشطة العقل و التفكير و البحث العلمى،و تتحكم فيها و تضع لها حدوداً بما يتوافق مع ما أنزله الله !

أنظر أخى القارىء إلى هذا الفكر المسيحى المُشرق ، بل أريدك أن تُقارن بين هذا الفكر المُبارك الذى لآباء الكنيسة و بين ما نُسب إلى عن عمر بن الخطاب فى رده على عمرو بن العاص بخصوص مكتبة الأسكندرية . هذه التى أنارت العالم . حيث قال [و أما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله غنى عنه ، و إن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها ، تقدم لإعدامها] [17]؛ بمعنى أن المكتبة محروقة ، محروقة ، فقط لأنها لا تحوى تنزيلاً !!!

قارن بينه و بين ما خطَّه قلم حجة الإسلام الغزالى فى كتابه "تهافت الفلاسفة" عن هؤلاء المفكرين الذين يستخدمون العقل : [فإني رأيتهم أصنافاً، ورأيت علومهم أقساماً؛ وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه] [18]

بل أقول أن هذه الدراسة قد فتحت شهيتنا للبحث عن أسباب الخلاف بين هذين الفكرين الغاية فى التباعد و نتائج كل منهما على عقلية الإنسان ، و تقدم مجتمعه !

---

16 . استروماتا . الفصل الرابع ، ترجمه الأنبا غريغوريوس فى الدراسات الفلسفية صـ 241[16]

17. الغدير ، و الفهرس لابن النديم ، راجع موقع[17] http://al-7ewar.com/m/showthread.php?t=5551

18 ar.wikipedia.org/wiki .

الغنوسية المسيحية

عناصر البناء الفكرى.

بعدما درسنا فى المقال السابق أصول فكر الغنوسية المسيحية و إرهاصاته الأولى عند القديسين يوستينوس و أثيناغوراس ، نتعرف الآن على العناصر التى صاغها القديس كليمندس الأسكندرى و هو يقيم بناء "المعرفة المسيحية الحقيقية" فى مواجهة الغنوسية الهرطوقية التى أتعبت الكنيسة فى عصره .

و هنا يجب أن نشير أن قديسنا قد وضع منهجه المتدرج هذا فى كتبه الثلاث : الخطاب إلى الوثنيين، و المربى، و المتفرقات ، لكننا هنا سنتبع تقسيم مختلف ، فنحن سنجمع كلماته المباركة التى وضعها فى كل هذه الكتب فى موضوعات كُليَّة حتى نخرج منها برؤية واضحة للفكر الذى اتبعه ، معتمدين فى ذلك على ما وُضع تحت إيدينا من أقواله التى ترجمت إلى العربية !

أولاً : الفلاسفة هم أنبياء العالم الوثنى:

القديس كليمندس كان يعتبر أن المعرفة متمثلة و متجسدة فى الفلسفة اليونانية ، إذن ، فنقطة الإنطلاق فى صياغة فكر أرثوذكسى عن المعرفة المسيحية لا بد أن تكون شرح دور هذه الفلسفة الذى يجعله "فوق الطبيعى" فى الإعداد الأمم لقبول المسيح ، و بالطبع لم يكن كليمندس . كما قلنا . هو أول من أثار السؤال عن العلاقة بين الفلسفة و الوحى ، أو بين فلاسفة الوثنيين و أنبياء العهد القديم، إلا أن كليمندس قد أجاب عنه بتحديد و جرأة روحية نادرة ، واضعاً الإيمان التقليدى بالوحى الإلهى نصب عينيه !

+ الفلسفة هى الوحى المؤدِّب الأمم للمسيح :

فالوحى الإلهى أُعطى لبعض البشر الممتازين ، حتى و من بين الوثنيين ، و هؤلاء كانوا " أنبياء العالم الوثنى " و الفلسفة عنده هى علم إلهى [19] و عطية إلهية ، و قد عقد كليمندس مقارنات عديدة بين الفلسفة و الوحى و هو يستعرض هذه الحقيقة ، أنه :

[كان هناك إعداد للإنجيل وسط العالم الوثنى]

إنه يقول أن الله أرسل منذ البدء الملائكة ليوصِّلوا إلى كل جنس . بتوسط رجل مُلهم . نوعاً من الحكمة ، لكن الحكمة الأولى تآكلت و تاريخ الفلسفة لم يعد يؤول إلى تقدم بل إلى فناء ، و منذ البداية ونحن نجد الحقائق فى وضعها الأصيل النقى . كما وهبها الله مثل حكمة العبرانيين . لكن كليمندس لا يُغفِل بل و يعترف بقيمة الحكمات الأخرى خارج اليهود. [20]

إن نظرية الإلهام النازل على الرجال الحكماء من الأمم الأخرى جعلت كليمندس . أكثر من يوستينوس الفيلسوف و الشهيد . يؤكد على التوازى بين الكتاب المقدس و الشعراء اليونان و على الأخص هوميروس و هيزيود ، هذان الإثنان يعتبرهما كليمندس رجالاً مُلهمين من الله علَّموا بتعالم سامية على شكل قصص.

[لأن ما أنعم به على كل جيل لفائدته ، و فى الوقت المناسب ، كان تعليماً إعدادياً لكلمة الله .]

19. الدراسات الفلسفية / لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 229

20. دراسات فى آباء الكنيسة / لأحد رهبان برية القديس مقاريوس صـ 176

[و على ذلك كانت الفلسفة ، قبل مجيء الرب ، ضرورية عند اليونان للبر ، و أصبحت الآن مؤدبة إلى التقوى ، إذ هى نوع من التعليم الإعدادى بالنسبة لمن يدركون الإيمان بالبرهان] [21]

ستروماتا (ف 5)

+ و هى بذلك تلعب نفس دور العهد القديم عند اليهود :

قد شبهها بالعهد القديم ،و جعلها تمهد للكلمة و تعد الطريق لظهور المخلص ، و لكنه يؤكد أنها لا تحل محل الوحى الإلهى و أضاف إن ما يوجد من بذور المعرفة فى العقائد الفلسفية مأخوذ عن أنبياء العهد القديم ، حتى أنه قال أن أفلاطون قد اقتدى بموسى فى شرائعه و أن اليونان قد استعانوا بالبرابرة أى باليهود و المسيحيين .

[لقد قيل " و لا تعثر رجلك" (أم 3 : 23) إذا تمسكت بما هو خير عند الله سواء كان هذا الخير ينتسب إلى اليونان أو إلينا لأن الله هو علة كل الخيرات ، لكنه علة أولى بالنسبة لبعضها كالعهدين القديم و الجديد ، و علة تابعه بالنسبة لبعضها الآخر كالفلسفة ، و لعل الفلسفة أعطيت لليونان بطريق مباشر و أصيل إلى أن يدعوهم الرب إلى الإيمان ، فكان المُعلم الذى أعد الفكر الهلينستى للمسيح ، كمل فعل الناموس بالنسبة للعبرانيين] [22]

استروماتا (ف 5)

[فالفلسفة إذن كانت إعداداً ، هيَّأ الطريق لمن تكمَّل فى المسيح !]

+ إذاً، الفلسفة هى أحد طرق الخلاص :

[و الآن يقول سليمان " إرفع الحكمة فتعليك ، تمجدك إذا اعتنقتها ، تعطى رأسك إكليل نعمة " (أم 4 : 8 :9) فإذا دعمت الحكمة بلباس الفلسفة ، و بكل ما يلزمها ، حفظتها من هجوم السفساطيين ، طريق الحق إذن واحد و لكنه كنهر دائم الجريان ، فيه تصب جداول المياة من كل جانب ، لهذا قيل فى الوحى " اسمع يا ابنى و إقبل أقوالى فتكثر سنو حياتك ، أريتك طريق الحكمة ، هديتك سبل الإستقامة " (أم 4 :10 :11) التى تتدفق من الأرض نفسها ، إنه لم يعدد فقط سبلاً عدة للخلاص . لأى إنسان بار. بل أضاف أيضاً سبلاً أخرى لأبرار كثيرين ، قائلاً " أما سبيل الصديقين فكنور مشرق" (أم 4 : 18) فالوصايا و طرق التعليم الإعادى يجب أن تعتبر سبلاً و طرقاً للحياة !] [23]

و هو يستعير قول الرب عن أورشاليم ليوضح أن طرق الخلاص و الحكمة متنوعة :

[يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا (مت 23 : 37 ، لو 12 :34) ، و أورشاليم تفسيرها رؤيا السلام فهو إذن يبين بالنبوءة أن الذين يتأملون فى سكون الأمور المقدسة يلبون دعوتهم بطرق متنوعة ، فما الذى يريده هنا و لا يقدر عليه ؟ كم مرة و أين ؟ مرتين : بالأنبياء و بمجيء المسيح ، و عبارة "كم مرة" تبين أن الحكمة

21. الدراسات الفلسفية / لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 242[21]

22. ترجمة نيافة الأنبا غريغوريوس / الدراسات الفلسفية صـ 242[22]

23. الدراسات الفلسفية صـ 243[23]

متنوعة ، و مهما يكن الكم و الكيف ، فإنها تنقذ البعض فى الزمن الحاضر و فى الأبدية ، لأن روح الرب يملأ كل الأرض .]

استروماتا (ف 5)

+ الفلسفة خادمة لعلم اللاهوت :

يقرر مُعلمنا الأسكندرى فى الفصل الأول من كتاب المتنوعات أن الفلسفة مفيدة للمسيحى إن شاء أن يقف على معرفة محتويات إيمانه ، و أنها إعداداً لعلم اللاهوت كما كانت العلوم الأخرى إعداداً للفلسفة، فهما ليسا خصمين ، بل صديقين متعاونين:

[و لكن كما أن فروع الدراسة الجارية تعاون الفلسفة و هى سيدتها ، كذلك الفلسفة نفسها تعمل على نيل الحكمة ، لأن الفلسفة هى البحث عن الحكمة و الحكمة هى معرفة الإلهيات و الإنسانيات ، و أسبابها ، إذن الحكمة هى ملكة الفلسفة كما أن الفلسفة ثقافة إعدادية ، لأنه إذا كانت الفلسفة تنادى بالسيطرة على البطن و اللسان و ما تحت البطن ، فإنها تفضل نظراً لأهميتها الخاصة ، و لكنها تبدو أدعى للإحترام و الرفعة إذا وجهت إلى شرف معرفة الله و الكتاب المقدس شاهد على ما نقول] [24]

ستروماتا (ف 5)

[لذلك يكفينا هنا أن نقرر أن الفلسفة تتميز بالبحث عن حقيقة الأشياء و طبيعتها (هذا هو الحق الذى تكلم عنه الرب نفسه قائلاً " أنا هو الحق " (يو 14 :6) و نُقر كذلك أن التهذيب الإعدادى للراحة فى المسيح يدرب العقل و ينبه الفكر و يولد ذكاء البحث و ذلك عن طريق الفلسفة الحقيقية ، التى يمتلكها المبتدىء ، إذا وجدها أو بالحرى إذا قبلها من الحق نفسه.]

[إذ هى نوع من التعليم الإعدادى بالنسبة لمن يدركون الإيمان بالبرهان]

و هذا التدرج نفسه كان منهج الدراسة فى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية ، حيث كان يتدرب الطلاب على العلوم الطبيعية و التجريبية ، ثم يدرسون الفلسفة و الشعر و الأدب ، ثم يرتقون إلى العلوم اللاهوتية . [25]

+ بل أنه يدافع عن الحضارة الهلينستية ضد التفسير الخاطىء لعبارات سفر الأمثال عن المرأة الغريبة موضحاً أن المقصود ليس هو الفلسفة النافعة بل اللذة الغبية التى للحضارة الدنيوية التى لا يجب أن نلتصق بها إلى الأبد :

[فإذا زعم أحد متعسفاً أن الإشارة هى إلى الحضارة الهلينستية ، فى القول " لا يلتفت إلى إمرأة شريرة لأن شفتى المرأة الزانية تقطران عسلاً " (أم 5 :3) فليسمع مايلى " إنها تلين حلقك للزمان الحاضر " و لكن الفلسفة لا تتملق .

فإلى من إذن يشير الله ؟ و من الذى ارتكب الفسق؟ إنه يضيف مفصحاً " لأن قدمى الحماقة تقودان من يستعملونها ، بعد الموت ، إلى الجحيم ، . لكن خطواتها غير مؤيده " قدماها تنحدران إلى الموت" ((أم 5 :5) لهذا تجنبها " ابعد طريقك عنها " (أم 5 :8) ، تجنب سبيل اللذة الغبية .." و لا تقف عند البواب بيتها حتى لا تعطى حياتك للآخرين " " و لا تقرب إلى باب بيتها لألا تعطى زهرك لآخرين " (أم 5 : 8 ، 9) ، ثم يقرر: و بعد ذلك تندم فى شيخوختك ، عندما يفنى لحم جسدك" " فتنوح

---

24 . يشاركه فى هذا الفكرة فيلو اليهودى أيضاً.[24]

25 . الدراسات الفلسفية / لنيافة الأنبا غريغوريوس صـ 43 ، نظرة إلى علم الباترولوجى صـ [25]70

فى أواخرك ، عند فناء لحمك و جسدك" (أم 5: 11) لأن هذه هى نهاية اللذة الغبية و هذا هو الحال بالفعل

و عندمايقول الوحى " لا تختضن إمرأة غريبة" (أم 5 : 20) إنه ينصح لنا أن نستعمل الحضارة الدنيوية فعلاً و لكن لا نبقى معها أو نصرف وقتاً معها ، لأن ما أنعم به على كل جيل لفائدته ، و فى الوقت المناسب ، كان تعليماً إعدادياً لكلمة الله ، لأن قوماً و قد وقعوا فعلاً فى شرك الخادمات الفاتنات ، استهانوا بزوجهم ، أعنى الفلسفة، و شاخوا بعضهم فى الموسيقى و بعضهم فى الهندسة و بعضهم فى علم النحو و أكثرهم فى علم الخطابة .] [26]

ستروماتا (ف 5)

+ يستخدم تشبيه سارة و هاجر ، فسارة رمز الحكمة الكاملة إذ لم تكن قد انتجت ثمراً بعد ، إضطر إبراهيم المؤمن أن يتزوج هاجر الجارية و هى رمزاً للحضارة و الفلسفة البشرية، ثم يقترب ليتزوج سارة و ينجب إسحق، أى يدرك الحكمة الإلهية الحقيقية :

[كانت سارة عاقراً و قتاً ما و هى زوجة لإبراهيم ، و لما لم يكن لسارة ولد ، فقد وهبت جاريتها هاجر المصرية لإبراهيم لينجب منها أولاداً ، إذن فالحكمة التى تسكن فى رجل الإيمان (و إبراهيم عُد مؤمناً و باراً) كانت لا تزال عقيمة و بلا ثمر فى ذلك الجيل ، لم تنتج لإبراهيم شيئاً يتصل بالفضيلة ، و قد رأت ، كما حصل بالفعل ، أنه و قد بلغ زمناً متقدماً ، أنه ينبغى أن يُخالط الحضارة العلمانية أولاً (فكلمة مصرية ترمز إلى العالم) و بعد ذلك يقترب إليها بنعمة إلهية و ينجب اسحق .

و على ذلك فإن من حصَّل ثقافة قبلاً ، هو حر فى أن يدنو إلى الحكمة و هى سامية ، منها تنبت جنس إسرائيل ، و هذا يرينا أن تلك الحكمة يمكن نيلها عن طريق الثقافة التى بلغها إبراهيم ابتداء بالتأمل فى الإلهيات إلى الإيمان و البر بحسب الله .

لذلك أيضاً عندما غارت سارة من هاجر إذ رأتها مفضلة عنها ، قال إبراهيم . و قد تخير فقط ما هو نافع من الفلسفة الدنيوية . " هوذا جاريتك فى يدك ، إفعلى بها ما يحسن فى عينيك " (تك 16 :6) و معناه صريحاً " إنى اعتنق الثقافة الدنيوية كأنها جارية و لزمن الصبا و لكنى احترم معرفتك و اوقرك كزوجة حقيقية ، و قد أزلتها سارة أى وبختها و عاقبتها .] [27]

استروماتا (ف 5)

+ ثامار أيضاً رمز للفلسفة اليونانية التى تطلع لها يهوذا :

[و ربما نجد صورة أخرى فى ثامار و هى جالسة على الطريق فى مظهر الزانية ، تطلَّع إليها البحَّاثة يهوذا (و تفسير اسمه القوى) الذى لم يهمل شيئاً بلا بحث و لا امتحان ، و تحول عنها موجهاً همه نحو الله]

استروماتا (ف 5)

26 . نفس المرجع السابق صـ 243[26]

27 . الدراسات الفلسفية صـ 244 ، 245[27]

ثانياً :ما الفلسفة إلا شرارة من اللوغوس و يجب أن تَكُمل بالإيمان بالمسيح :

بالرغم من أنه نسب للفلسفة و المعرفة دور فوق الطبيعى إلا أنه يُقرر إذا لم تقترن هذه الفلسفة بالإيمان باللوغوس الذى أوجدها و وضعها فى عقول أصحابها ، فإنها تصبح ناقصة و قاصرة و لا تنفع شيئاً !

فاليونان كان لهم بعض المعرفة الحقيقية عن الله ، و قد كُرز بالإنجيل لمن عاش منهم طبقاً للنور الذى كان لهم ، و لو أن هذا النور باهت إزاء مجد الإنجيل و ضيائه. [28]

و خطابه إلى الوثنيين ، الذى يوجهه إلى رفقائه الفلاسفة، خير دليل على هذا ، فهو يحثهم ليكملوا نظرتهم للعالم بأن يقبلوا المسيح ، فما استوعبوه من معرفه لأسرار الطبيعة و الكون بمحض عقولهم ، يسميه كليمندس " مجرد شرارة صغيرة " يمكن أن تضرم لتصير شعلة ، هذه الشرارة هى آثار "الحكمة" التى وضعها الله فى الإنسان .. لقد وبخهم اكيمندس لأنهم ارتضوا بنظرتهم الدينية التى صورت لهم اللاهوت بهذه الصورة الهزيلة التى علمتهم أياها أديانهم ، مع أن نظراتهم الفلسفية فاقت بمراحل تلك الصورة الدينية الفجَّة! [29]

فالإله زيوس . حسب أديانهم . هو "صورة الصورة" ، أما الإيمان المسيحى فيبشرهم أن الصورة الحقيقية لله هى "الكلمة" ، إذن فصورة الصورة ليست هى التماثيل الحجرية التى تدعو الأديان لعبادتها ، بل هو الإنسان نفسه فى عقله الإنسانى.

لقد صور كليمندس بتعبيرات براقة سمو العقل و الأخلاق فى الطريق المسيحى على كل ما عداه ، حتى على ما استطاع أفخر علمائهم ان يكتشفوه :

[إن ما خمنه زعيم الفلاسفة فهمه تلاميذ المسيح و أعلنوه]

الخطاب إلى الوثنيين 11 : 112 :2

فالكلمة بدخوله التاريخ بالتجسد قد حقق كل ما كانت تصبو إليه و تبحث عنه الفلسفات و الأديان المختلفة ، لذلك دعاهم كليمندس أن يقارنوا بين الكتاب المقدس و هوميروس.

[الفلسفة عظة طويلة عن الحياة ، سعى وراء الحكمة الأزلية ، بينما وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد ، إذن فاقبل المسيح ، اقبل الرؤيا ، اقبل النور ، حتى تعرف الله و الإنسان بالحق] [30]

خطاب إلى الوثنيين 11 : 112 : 1 . 2

و بحماس بالغ يواجه كليمندس قارءه البعيد عن الإيمان الصحيح ، ليسمع الأنشودة الجديدة التى ألفها و أنشدها "أورفيوس" الجديد ، أى الكلمة المُشرق من صهيون .فإذا كان أورفيوس (هذه شخصية أسطورية فى الميثولوجيا اليونانية) الذى أدعى أنه قادر على أن يقيم زوجته من قبرها بعزف ألحانه و أناشيده الساحرة على قبرها لكى تستجيب و تخرج حية من

28. الجزء السادس من الاستروماتا صـ الدراسات الفلسفية صـ 230[28]

29 . دراسات فى آباء الكنيسة صـ 175[29]

30. دراسات فى آباء الكنيسة . مرجع سابق.[30]

القبر قد فشل ، فإن المسيح قادر على إحياء و شفاء نفوسنا بتعاليمه الإلهية !

[إن الحق النسبى الذى تحتويه مقالات الفلاسفة أمر معروف ، أما المعرفة الكاملة غير المشكوك فيها فهى موجودة فقط فى الأنبياء و فوق الكل فى اللوجوس "الكلمة" الذى يقود إلى كل الحق.]

و على أن هذا فقد كان نقده لقصور الفلسفة صريحاً و واضحاً ، فقد قال أن اليونانيين مدينون للعبرانيين فى قصة " طيماوس " فى الكتابات الوثنية ، و خورس الفلاسفة مدانون لانهم ألَّهوا الكون بدلاً من البحث عن خالق الكون ، لقد كانوا محتاجين لمن يخبرهم أن

[المشيئة الخاصة لله كانت ان يخلق الكون ، لأن الله وحده صنعه ، فهو الإله الواجب الوجود بذاته ، و بفعل مشيئته خلق الكون ، إذ شاء فأتت الأشياء للوجود] [31]

الخطاب إلى الوثنيين 4 : 3: 63

إن الدين الحقيقى هو تعاليم الكلمة الذى أنبأ به الأنبياء و ظهر مسيحاً و وعد بحياة تحقق أعمق الأمانى البشرية لأنها تؤدى إلى الخلاص و الخلود .و يستعين كليمندس فى كتابه هذا بالفلسفة الرائجة ليهدم أساطير الأقدمين و يُظهر أسبقية العهد القديم على الفلسفة اليونانية فيشارك فى ذلك ما سبقه من الآباء المناضلين !

[إذاً الفلاسفة أطفالاً ..

إلا إذا صيرهم المسيح رجالاً " لأنه إذا كان ابن المستعبدة لا يرث مع ابن الحرة " (تك 21 : 10 ، غل 4 :30) فهو على الأقل نسل إبراهيم و لو انه ليس ابن الموعد و قد أخذ ما يخصه هبة مجانية " وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (عب 5 : 14) " لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ "(عب 5 : 13) و لم يكن يعرف بعد الكلمة التى آمن بها و يعمل الآن وفقاً لها كما أنه لا يستطيع أن يعلل شيئاً لنفسه] [32]

ستروماتا (ف 11)

ثالثاً: الإيمان هو أساس المعرفة الحقيقية

بعدما أوضح صلاح الفلسفة الجزئى ، و حاجة الفلاسفة إلى اللوغوس الحقيقى ، كلمة الله الذى سينير عقولهم و حياتهم ، فإنه يحثهم على الإيمان به متجسداً ، هذا الإيمان هو الوحيد القادر على ضبط المعرفة و توجيهها إلى غرضها السليم و المقدس الذى من أجله وضعها اللوغوس فى عقول البشر ، و هو معرفة الله ذاته!

لذلك نجده فى الفصل الثانى من الستروماتا يدافع عن الإيمان ، فجعل الإيمان هو أساس كل معرفة و لا سيما معرفة الله ، و

31 . يعتبر العلماء أن كليمندس هو أول لاهوتى مسيحى يثبت وجود الله و قدرته من خلال العقل.[31]

32 الدراسات الفلسفية صـ 247[32]

أقرَّ أن بداية الفلسفة و أساسها هى الإيمان ، هذه الحقيقة ذات أهمية قصوى لمن يريد أن يتفهم الإيمان بعقله

[الإيمان أسمى من المعرفة و هو المعيار الذى تقاس به المعرفة] [33]

ستروماتا 2 : 4 :15

و يقرر كليمندس فى بدايته و فى أماكن متعدده منه ، أن المسيحية لا يمكن أن تعلم أو أن تُوصَّل بالكتابة ، أو تصير فى متناول كل إنسان مرة واحدة ، إن حقيقتها سرية ، و هى تستعلن تماماً للذين تأهلوا لها و نالوا نعمة من الله ، الإيمان يجب أن يوضع فى المقام الأول لكل إنسان مسيحى جديد و هو يتدنس فقط بسرعة الإعلان عنه !!!

المعرفة التى تؤسس الحياة الحقيقية يجب أن تقتنى بطريقة شخصية ، و يجب أن يصل الإنسان إلى أعلى المستويات فى الإقتناع بها و المسئولية عنها و الإلتزام بكل ما تقتضيه ! المعرفة الكلية لا يمكن أن تقتنى من الكتب و لا يمكن أن تستعلن فى الكتب ، إذ لا يمكنك أن تضع سكيناً حاداً بين يدى طفل صغير!

[على أن الاقتناع هو وسيلة التوطد فى الإيمان !!!]

+ لا يجب الافتخار بالمعرفة العقلية و الفلسفة بل بمعرفة الرب :

[" لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ" (1كو3 : 8 ، 19) " :«الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ" ((1 كو 3 : 20) فلا يفتخر الإنسان بسمو فكره البشرى لأنه بحق قد كُتب فى سفر إرمياء " لا يفتخر الحكيم بحكمته و لا يفتخر الجبار بجبروته و لا يفتخر الغنى بغناه ، بل بهذا يفتخر المفتخر بأنه يفهم و يعرفنى أنى انا الصانع رحمة و قضاء و عدلاً فى الأرض ، لأنى بهذا أُسر يقول الرب " (إر9 :23 ، 24) "لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ " (1كو 2 :5)] [34]

استروماتا (ف 11)

+ الفلسفة الباطلة لا يجب أن تعطلنا عن الإيمان :

[يقول الرسول "وَإِنَّمَا أَقُولُ هذَا لِئَلاَّ يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلاَمٍ مَلِق " (كو2 :4) " أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. " (كو 2 :8) ... انظروا أن لا يكون أحد يسلبكم عن الإيمان بالمسيح ، و ذلك بالفلسفة و بغرور باطل .]

استروماتا (ف 11)

رابعاً : الفضيلة هى أساس الإيمان :

إذا كانت المعرفة مؤسسة على الإيمان ، فإن الإيمان مؤسس على الحياة الفاضلة و السلوك النقى ، و هذه الفكرة تتجلى فى كتابه "المُربّى" الذى يضع فيه السلوك المسيحى التقوى كنتيجة مباشرة للإيمان :

[فكما قبلتم يسوع المسيح الرب فاسلكوا فيه ، متأصلين و مبنيين فيه و موطدين فى الإيمان]

33 . محاضرة عن كليمندس الأسكندرى / للدكتور نصحى عبد الشهيد / دراسات فى آباء الكنيسة . صـ [33]174

34 . الدراسات الفلسفية / نيافة الأنبا غريغوريوس صـ [34]246

[و التقوى كالقاعدة للمركب على أساسها يقوم الإيمان الذى به نتهلل و نفرح غاية الفرح و نجحد معتقداتنا الأولى ... لأن التقوى الصحيحة هى وعظ يولد فى سائر ملكات العقل اشتياقاً و حنيناً إلى الحياة القويمة فى الحاضر و المستقبل و لكن بما أن الكلمة سريعاً ما يشفينا و يلزمنا بإتباع فرائضه ، فإذا ما جرينا فى إثر خطواته ، تمم المفروض علينا ، و وعد بتطهيرنا من خطايانا و أهوائنا] [35]

المربى (ف 1)

بل يجعلها كهدف أسمى يسعى المسيح إلى تحقيقه من خلال عمله في الإنسان:

[و لما كان المربى عملياً لا نظرياً ، فهو يهدف إلى إصلاح النفس لا إلى تعليمها و إلى ترويضها على حياة فاضلة لا على حياة عقلية]

فهو يوضح أن المسيحية يجب ألا تؤخذ على أنها مجرد وصايا و مطاليب خارجية لابد من تتميمها حسب حرف الناموس ، بل هى ديانة كيان الإنسان كله و الاخلاق المسيحية تنبع من النية :

[كما أن الاتضاع لا يكمن فى قتل الجسد بل فى الوداعة ، كذلك العفة فضيلة النفس أولاً]

ستروماتا 3 : 48 : 3

يُحدثنا عن التربية التى تقدم للأطفال ، و الذين يسميهم الإنجيل بالأطفال ليس هؤلاء المسيحيين الناقصين كما فى عرف الغنوسيين و إنما هؤلاء الذين فداهم المخلص و اعتمدوا فُولدوا ثانية أبناء الله ، ففى المعمودية إنارة و الإنارة تجعلنا أبناء الله ، و إذ نصير أبناء الله فإننا نصير كاملين و بالكمال نصير خالدين

و هذا هو السبب فى أن شخصية المعلم ذات أهمية استثنائية و لا غنى عنه أبداً فى الحياة المسيحية ، لذلك يحث المسيحيين على أن يكون لهم "مرشد روحى" ! [36]؛ لأن كل معرفة نظرية يتلقاها من يريد الإنضمام للإيمان ماهى إلا مجرد إعداد ، نوع من التمهيد للمعرفة الحقة و سبق للفهم الروحى الحقيقى ، حتى الكتاب المقدس نفسه الذى يحوى كل الحكمة ، لا يمكن أن يغنى عن المعلم ، فنار الروح تضطرم فقط بنار حية .

+ و هو يوازن بين التعليم النظرى العقلى و بين السلوك المعاش فى حياة الإنسان المسيحى :

[مربينا عملى ، يعظنا أولاً كيما نحصل على الخصال و الأخلاق القويمة ثم يقنعنا بوجوب أداء و مباشرة واجباتنا بنشاط و يأمرنا بأوامر صريحة ، مقدماً لنا فى ذلك أمثلة بأولئك الذين سبقوا فسقطوا فى الضلال .

على أن كل من المنهجين مفيد أعظم الفائدة سواء المنهج الذى يتخذ صورة النصح بإلتزام الطاعة (يقصد التعليم النظرى) أو المنهج الذى يقدم لنا هذا النصح فى صورة مثال (يقصد التعليم الحياتى المُعاش) ، أما النوع الاول فالقصد منه أن نختار الخير و أن نحاكيه ، أما النوع الآخر فإن ننبذ نقيضه و نتحول عنه ، و من ثم يترتب على هذا أن نبرأ من أهوائنا إذا ما طرحنا تلك الامثلة عنا ، فالمربى يقوى أنفسنا بل يقود المرضى إلى معرفة الحق الكاملة بواسطة أوامره المقبولة و أطبائه المحبوبين (يقصد المرشدين الروحيين)]

---

35 . ترجمة الأنبا غريغوريوس / الدراسات الفلسفية صـ 235

36 . دراسات فى آباء الكنيسة صـ 179

[كذلك المرضى بنفوسهم ، يفتقرون إلى مُربى يعالج أمراضهم و من ثم إلى معلم يهذب النفس و يقودها إلى المعرفة التى تفتقر إليها عندما تكون أهلاً لأن تقبل الوحى من "الكلمة" ، فإذا كنا نتوق إلى أن تَكمل نفوسنا ، فتتدرج إلى أن تدرك الخلاص و التهذيب الفعال ، فإن الكلمة الكلى الرأفة قد راعى فى ذلك ترتيباً بديعاً هو أن يرشدنا أو يعظنا أولاً ثم يهذبنا ثانياً و يعلمنا أخيراً .] [37]

المربى (ف 1)

+ الخطية هى العائق الأول أمام الإنسان لكى يصل إلى الغنوسية الحقيقية حيث يصف هذه التى تفصل الإنسان عن خالقه بأنها "ضد العقل" :

[أن الخطايا المقصودة الإرادية هى التى تضاد العقل ، و هو يدعو الفعل غير الإرادى مفاجئاً ، أما الخطية فيدعوها "مضاده للعقل" و على ذلك فالكلمة أى المربى قد صار نائباً عنا لينقذنا من الخطية التى تضاد العقل] [38]

المربى (ف 2)

[إن المؤمنين كمثل أطفال فى الروح (هذا هو الأساس فى حياة المؤمن وسط العالم الوثنى)، المثل الأعلى للمسيحى هو البساطة و السجيَّة ... فليتميز المسيحى بالهدوء و السكون و السلام] [39]

+ أهمية الجهاد الروحى مع المعرفة :

[و يقول الفيلسوف أفلاطون " الفضيلة لا تعشق الصبيان" . و كفاحنا تبعاً لجورجياس ليونتينوس يتطلب فضيلتين : الجرأة و الحكمة ، الجرأة لإحتمال الأخطار ، و الحكمة لفهم المعميات .

لأن "الكلمة اللوغوس " بمثابة النداء الأوليمبى يدعو من يريد و يتوج من هو قادر على مواصلة الجهاد بثبات حسبما يقتضيه الحق .

و الحقيقة أن الكلمة لا يرغب فى شخص أراد لنفسه الكسل و البطالة ، لأنه يقول " اِسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ" (مت 7 :7) و الطلب يفضى إلى الإيجاد ، إنه ينكر العبث الذى لا طائل تحته ، و يدعو إلى التامل الذى يثبت إيماننا .]

حقاً قد كان كليمندس مهتماً بشغف بكل الفلسفات و الديانات السرية و الغوامض القديمة ، حتى و هو يفندها ، و كان يرى المسيحية ليس فقط أنها فلسفة ، بل حقيقة و قوة سرية تغير و تعلى كل كيان الإنسان .

خامساً : الكمال المسيحى :

بعدما إجتاز الإنسان فى إختبارات المعرفة ، و الإيمان ، و الحياة التقوية ، فإنه يكون مستحقاً أن يصل إلى قمة الغنوسية المسيحية و هو الكمال ، فالمسيحية رفعت طموح الإنسان فجعلته مشابهاً لله ، و يجد مثله الأعلى فى الله ذاته !! فالإنسان الكامل يصير مماثلا للأصل الذى خلقه .. يتحول إلى المسيح نفسه ، و يمتد إلى الخلاص و الخلود و التأله ، على النحو الذى أوردناه فى مقال آخر .

نجده يصف حالة الغنوسى الحقيقى ، هذا المسيحى (الذى يلقبه أيضاً بالفيلسوف) الذى ذاق معرفة الله الحقيقية و يحيا فى ملىء حياة الكمال التى هى مشابهة الابن الوحيد ذاته بالكلمات الآتية:

---

37 . ترجمة نيافة الأنبا غريغوريوس / الدراسات الفلسفية ص . 235 ، 236

38. ترجمة نيافة الأنبا غريغوريوس / الدراسات الفلسفية ص237

39. دراسات فى آباء الكنيس / مرجع سابق ص 178

[قد تجده مسافراً أو مختلطاً مع الناس يقرأ أو ينهمك فى عمله ، لكن حياته كلها بالأساس هى صلاة دائمة لا تكف ، محادثة مستمرة مع الله ، حياة المسيحى عيد دائم ... صراخه و جهاده نحو الله ، حتى و إن لم يُعبَّر عنها دائماً بالكلمات ، لكن دائماً يسمعها الله .. .]

[الغنوسى المسيحى الحقيقى لا يعود يعيش من أجل نفسه ، و إذا كان فى حال الكمال المبارك ، فإنه بمحبته لله يحيا الحب الإلهى فيه ، و يصير صورة المسيح الحية الفعالة ، فينزل بفرح إلى رفقائه البشر الذين هم مثله تماماً ، يدعوهم كلهم إلى العلى ، و من خلاله يدخلون ملكوت معرفة الله .] [40]

الغنوسى المسيحى هو الذى يدرك حالة تخلو من الإنفعال خلواً تاماً ، كما أنه يصل إلى معرفة أسرار كثيرة لا تعلن لغيره . [41]

الغنوسى المسيحى الحقيقى هو وحده الذى يعبد الله بحق إنه يجاهد ليصير شبيهاً بابن الله و ليس كذلك الوثنيون الذين صنعوا آلهتهم على أشباههم . [42]

الغنوسى المسيحى الحقيقى هو الذى يتصف ببذل النفس ، و الحب و الاحتمال و الاستعداد للإستشهاد ، إن الغنوسى المسيحى يعلو على الخوف إلى ذلك الكمال الذى يتوافر فى المعرفة و محبة الله . [43]

هذا الكمال الذى يقوم على النسك و التبتل و محبة الله غير موجود عند الغنوسيين الهراطقة ، و يبلغ إليه الإنسان عندما يصل إلى أعلى مستوى من المعرفة ، حيث أن العارف الكامل لا يعود فى حاجة إلى المعلم البشرى ، لأنه صار مرتبطاً مباشرة بالله الكلمة .

+ حالة الكمال هذه لا تحدث إلا داخل الكنيسة :

بالرغم من الخلفية الفلسفية الأفلاطونية التى كان يتمتع بها المُعلم الأسكندرى العظيم ، إلا أننا لا يجب أن نغفل تقليديته و إتجاهه الكنسى ، لا يجب أن ننسى أن كل هذا البناء الراسخ الذى اهتم بأن يشيده فى كل كتاباته هو أساساً لخدمة الكنيسة و عقيدتها القويمة ، فقد كان يعتبر نفسه خادماً و إعتبر أن رسالته فى الحياة هى أن يقود الناس للمسيح ، صحيح أنه لم يكن معلما شعبيا وسط الكنيسة لكنه كان راعياً متمرساً فى خدمة النفوس

[لنكمل فى نفوسنا جمال الكنيسة ، كأبناء صغار نحو أمنا الصالحة عندما نكون سامعين للكلمة .. فإن الإنسان يتقدس كإبن لله و يتسلم و هو على الأرض التعليم الذى يجعله مواطناً سماوياً] [44]

---

40. دراسات فى آباء الكنيسة صـ 180[40]

41. الجزء السادس من الستروماتا . الدراسات الفلسفية صـ 230[41]

42. الجزء السابع من الستروماتا . الدراسات الفلسفية صـ 230[42]

43. الجزء الرابع من الستروماتا _ الدراسات الفلسفية صـ 229[43]

44. نظرة شاملة إلى علم الباترولوجى فى القرون الستة الأولى / الأب تادرس يعقوب ملطى صـ 69[44]

فالكنيسة هى التى تدعو أولادها إليها و تغذيهم باللبن المقدس الذى هو الكلمة ، فهى والدة المربة ، و هى المدرسة التى يقوم عريسها يسوع بالتعليم . [45]

..

أخيراً :

+ أصل المعرفة و أساسها هو كلمة الله اللوغوس ، و هو الذى وضعها فى الناموس و الأنبياء اليهوديين، كما فى الفلسفة و الشعر اليونانيين ، و كما فى أى فكر و منطق و صناعة و فن .

+ خطأ أن نظن أن المعرفة هى إنسانية خالصة ، فهى أولاً و قبل كل شىء معرفة إلهية وضعها الله فى الإنسان ، نافعة له ، و هى تقوده لهدف أسمى و هو معرفه الخالق بشكل أعمق و أكثر وضوحاً و استعلاناً.

+ هذه المعرفة يجب أن تَكمُل بالإيمان المؤسس على السلوك الفاضل و تتميم الوصايا ، فالمسيحية ليست مجرد كلام و حبك فلسفى مقنع ، بل حياة ! ،كما أن هدف الله اللوغوس لا أن يُشبع العقل فقط ، بل كيان الإنسان كله !

+ فى النهاية سيصير الإنسان كاملاً ، خالداً ، مؤلهَّاً ، عارفاً حقيقياً لذاته ، و لخالقه أيضاً ، لذلك نجد كليمندس يقول فى كتاب المربى :

[هكذا يتضح أن أعظم الدروس كلها هى معرفة الإنسان لذاته ، لأنه إن عرف الإنسان ذاته سيعرف الله !] [46]

شكراً مُعلَّمى كلميندس!!!

---

45 . محاضرة عن القديس كليمندس الأسكندرى ، د/ نصحى عبد الشهيد . المركز الأرثوذكسى للدراسات الآبائية.[45]

46 . نظرة شاملة إلى علم الباترولوجى فى القرون الستة الأولى / الأب تادرس يعقوب ملطى صـ [46]69